سورةُ الغاشِيةِ

الجزء الأول

من الآية (1) إلى الآية (16)

أسماء السورة:

سُمِّيَت هذه السُّورةُ بسُورةِ (الغاشِيةِ) .

وسُمِّيت أيضًا بسُورةِ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ؛ فعن سَمُرَةَ بنِ جُندَبٍ رضيَ الله عنه: ((أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كان يَقرَأُ في صلاةِ الجُمُعةِ بـ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى وهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ)) .

وعنه أيضًا: ((أنَّ رَسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم كان يَقرَأُ في العيدَينِ بـ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى وهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ)) .

فضائل السورة وخصائصها:

كان النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَقرَأُ بها في الرَّكعةِ الثَّانيةِ مِن صَلاتَيِ الجُمُعةِ والعِيدِ.

فعن النُّعمانِ بنِ بَشيرٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: ((كان رَسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يَقرَأُ في العِيدَينِ، وفي الجُمُعةِ بـ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى وهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ، قال: وإذا اجتمَع العيدُ والجُمُعةُ في يومٍ واحدٍ يَقرَأُ بهما أيضًا في الصَّلاتَينِ)) .

وتقدَّمَ حديثا سَمُرَةَ بنِ جُندَبٍ رَضِيَ اللهُ عنه.

وكما ذكرنا سابقاً لعلَّ اختيارَ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ لهاتَينِ السُّورتَينِ؛ لِمَا فيهِما مِنَ التَّذكيرِ بأُمورِ الآخِرةِ، والوَعدِ والوَعيدِ، وذلكَ يُناسِبُ النَّاسَ في تِلك الصَّلاةِ الجامِعةِ. الدرر السنية

بيان المكي والمدني:

سورةُ الغاشيةِ مَكِّيَّةٌ، نَقَل الإجماعَ على ذلك غيرُ واحدٍ مِنَ المفَسِّرينَ .

مقاصد السورة:

مِن أهَمِّ مَقاصِدِ السُّورةِ: بيانُ أحوالِ الكافِرينَ والمؤمنينَ يومَ القيامةِ .

موضوعات السورة:

مِن أهمِّ الموضوعاتِ الَّتي اشتَمَلَتْ عليها السُّورةُ:

1- ذِكرُ جزاءِ الكافِرينَ والمؤمنينَ يومَ القيامةِ.

2- ذِكرُ مَظاهِرِ قُدرةِ اللهِ في خَلْقِه.

3- أمْرُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم بالتَّذكيرِ، وتهديدُ المشرِكينَ المعرِضينَ بالعَذابِ.

4- تقريرُ وُقوعِ البَعْثِ والحِسابِ.

✍(مضمون السورة) تتناول السورة أصول العقيدة الإسلامية

1- تبدأ بالحديث عن القيامة و أحوالها و أهوالها وجزاء الكافر والمؤمن وقتها ، من قوله تعالى: (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ {1} وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ {2}) إلى قوله تعالى : (وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ {15} وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ {16})

2- ثم تسوق الأدلة والبراهين على وحدانيته تعالى وقدرته على الخلق ، من قوله تعالى: (أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ {17}) إلى قوله تعالى : ({22} إِلَّا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ {23} فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ{24})

3- وتختم بالتذكير برجوع الناس جميعا لله تعالى للحساب والجزاء ، قال تعالى: (إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ {25} ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم {26})

🗀مناسبتها لما قبلها: لما أشار سبحانه في سورة الأعلى بقوله: ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى ﴾ [الأعلى: 10] إلى المؤمن والكافر، والجنة والنار إجمالًا، فَصَّلَ ذلك في هذه السورة، فبسط صفة النار والجنة وأهل كل منهما.

﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (1) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (3) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (4) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (5) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلا مِنْ ضَرِيعٍ (6) لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (7) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (8) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (9) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (10) لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً (11) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (12) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (14) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (16) .

📃قال السعدي: يذكر تعالى أحوال يوم القيامة وما فيها من الأهوال الطامة، وأنها تغشى الخلائق بشدائدها، فيجازون بأعمالهم، ويتميزون [إلى] فريقين: فريقًا في الجنة، وفريقًا في السعير.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ ﴿1﴾

(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) أي: هل بلَغَك -يا محمَّدُ- خَبَرُ القيامةِ الَّتي تَغشى النَّاسَ بأهوالِها وشَدائِدِها.

موسوعة التفسير

📃قال ابن عثيمين: يجوز أن يكون الخطاب موجَّهًا للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وحده وأُمَّتُه تَبَعٌ له، ويجوز أن يكون عامًّا لكلِّ مَن يتأتَّى خطابهم.

عن عمرو بن ميمون قال :" مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى امْرَأَةٍ تَقْرَأُ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ فَقَامَ يَسْمَعُ وَيَقُولُ: (نَعَمْ قَدْ جَاءَنِي).

كان-ρ- يخطب بالناس ويقول : "لو تَعْلَمُونَ ما أعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، ولَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا". صحيح البخاري

✍يعني لو تَعْلَمُونَ: مِن عَظمةِ اللهِ وشِدَّةِ عِقابِه لأهلِ الجرائمِ، والأهوالِ التي تَقَعُ عندَ النَّزْعِ والموتِ، وفي القبْرِ، ويومَ القِيامةِ؛ «لَضَحِكْتم قليلًا ولَبَكَيْتُم كَثيرًا» يعني: لقَلَّ ضَحِكُكم ولَزاد بُكاؤُكم مِن هَولِ ما تَعلَمون. الدرر السنية

✍الاستفهامُ للتَّشويقِ قال ابن القيم: في مِثلِ هذا بصِيغةِ الاستِفهامِ سِرٌّ لطيفٌ، ومعنًى بديعٌ؛ فإنَّ المتكلِّمَ إذا أراد أن يُخبِرَ مُخاطَبَه بأمرٍ عجيبٍ يَنبغي الاعتناءُ به، وإحضارُ الذِّهنِ له، صدَّر له الكلامَ بأداةٍ تُنَبِّهُ سمْعَه وذِهْنَه للمُخبَرِ به.

■ويجوز أن يكون للتعظيم لعظم هذا الحديث عن الغاشية.

📋قال ابن عثيمين: أي: نَبَؤُها، فالغاشية هي الداهية العظيمة التي تَغْشى الناسَ، وهي يوم القيامة التي تحدَّث الله عنها في القرآن كثيرًا ووَصَفها بأوصافٍ عظيمة؛ مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١- ٢].

✍وسميت القيامة غاشية؛ لأنها إذا حصلت لم يجد الناس مفرًّا من أهوالها، فكأنها شيء يغشى الناس ويغطِّيهم. وقال بعض السلف كمحمد بن كعب وسعيد بن جبير: تغشى النارُ وجوهَ الكفار، يعني أن الغاشية هي النار تغشى وجوه الكفار . والقول الأول: أنها اسم من أسماء القيامة هو الذي عليه الجمهور.

📋قال الطبري: والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ لم يخبرنا أنه عنى غاشية القيامة، ولا أنه عنى غاشية النار. وكلتاهما غاشية، هذه تغشى الناس بالبلاء والأهوال والكروب، وهذه تغشي الكفار باللفح في الوجوه، والشُّواظ والنحاس، فلا قول في ذلك أصحّ من أن يقال كما قال جلّ ثناؤه، ويعمّ الخبر بذلك كما عمه.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ ﴿2﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: 📋قال البقاعي: لَمَّا هَوَّل أمْرَها بانبهامِها وعُمومِها، زاد في التَّهويلِ بما ذَكَر مِن أحوالِها في تفصيلِ النَّاسِ إلى شَقيٍّ وسعيدٍ، وبدأ بالشَّقِيِّ؛ لأنَّ المقامَ لإنذارِ المؤثِرينَ للحياةِ الدُّنيا[سورة الأعلى]

(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ) أي: تكونُ وُجوهٌ يومَ القيامةِ ذَليلةً. موسوعة التفسير

📋قال ابن عثيمين: ﴿خَاشِعَةٌ﴾ أي: ذليلة؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى ٤٥]، فمعنى ﴿خَاشِعَةٌ﴾ يعني ذليلة.

📋قال البِقاعي: (أي: ذَليلةٌ مُخبِتةٌ مِنَ الخَجَلِ والفضيحةِ والخَوفِ والحَسْرةِ الَّتي لا تنفَعُ في مِثْلِ هذا الوَقتِ).

﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ ﴿3﴾

(عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ) أي: يَعمَلُ أصحابُها أعمالًا شاقَّةً مُجهِدةً مُرهِقةً. موسوعة التفسير

📋قال السعدي: أي: تاعبة في العذاب، تجر على وجوهها، وتغشى وجوههم النار.

قال السمعاني: (وقَولُه: عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ أي: عَمِلَت في الدُّنيا لغيرِ اللهِ، فنَصِبَت وتَعِبَت في الآخِرةِ بعَذابِ اللهِ).

وقال البِقاعي: (ويجوزُ أن يُرادَ بها الَّذين تَعِبوا ونَصَبوا في الدُّنيا أجسامَهم وهم على غيرِ دِينِ الإسلامِ، كالرُّهبانِ مِنَ النَّصارى بعدَ النَّسخِ، وزنادقةِ المتصَوِّفةِ مِنَ الفلاسِفةِ وأتْباعِهم).

وعن أبي عمران الجوني يقول: مر عمر بن الخطاب -τ- بدير راهب، قال: فناداه يا راهب، فأشرف، قال: فجعل عمر ينظر إليه ويبكي، فقيل له: يا أمير المؤمنين ما يبكيك من هذا؟ قال: ذكرت قول الله -Y-: عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً فذاك الذي أبكاني.

قال ابن عيثمين: قال العلماء: وذلك أنَّهم يُكلَّفون يوم القيامة بجرِّ السلاسل والأغلال والخوضِ في نار جهنم -والعياذ بالله- كما يخوض الرجُل في الوحل، فهي عاملةٌ تَعِبةٌ من العمل الذي تُكَلَّف به يوم القيامة؛ لأنه عملُ عذابٍ وعقابٍ -نسأل الله العافية- وليس كما قال بعض الناس: إن المراد بها الكفار الذين ضلَّ سعيُهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صُنعًا. وذلك لأنَّ الله قيَّد هذا بقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يومَ إذْ تأتي الغاشية، وهذا لا يكون إلا يوم القيامة، إذَنْ فهي ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ بما تُكَلَّف به من جرِّ السلاسل والأغلال والخوضِ في نار جهنم، أعاذنا الله وإيَّاكم منها.

وقال البخاري: قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ النصارى، وعن عكرمة والسدي: "عاملة في الدنيا بالمعاصي، وناصبة في النار بالعذاب والأغلال".

هذه الأقوال للسلف -رضي الله عنهم- تتجه إلى معنيين: المعنى الأول: أن هذه الأوصاف لهم في الدنيا. والقول الآخر: أن ذلك في الآخرة.

ونخرج بنتيجة أنه ليس المهم العمل فقط، بل المهم الإخلاص في العمل ومتابعة رسول الله -ρ-، والانقياد لأوامر الله ونواهيه، حتى لا يكون الجزاء من جنس العمل، لم ينقادوا لله -Y- في الدنيا، فقيدهم بسلاسلا وأغلالا وسعيرا في الآخرة.

قال ابن عاشور: وأُوثِرَ وصْفُ خَاشِعَةٌ وعَامِلَةٌ ونَاصِبَةٌ تَعريضًا بأهلِ الشَّقاءِ؛ بتَذكيرِهم بأنَّهم تَرَكوا الخُشوعَ للهِ، والعمَلَ بما أمَرَ به، والنَّصَبَ في القِيامِ بطاعتِه، فجَزاؤهم خُشوعُ مَذلَّةٍ، وعمَلُ مَشقَّةٍ، ونصَبُ إرهاقٍ.

﴿تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً﴾ ﴿4﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال الرازي: بَعْدَ أن وَصَفَهم تعالى بهذه الصِّفاتِ الثَّلاثةِ؛ شَرَح بعدَ ذلك كيفيَّةَ مَكانِهم ومَشرَبِهم ومَطعَمِهم

(تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً) أي: يَدخُلونَ نارًا مُتوَقِّدةً شَديدةَ الحرارةِ. موسوعة التفسير

قال السعدي: أي: شديدًا حرها، تحيط بهم من كل مكان.

قال ابن عيثمين: أي: تُدخَل في نارِ جهنَّم -والعياذ بالله- النار الحامية التي بلغتْ من حموها أنها فضِّلتْ على نار الدنيا بتسعةٍ وستين جزءًا؛ يعني نار الدنيا كلُّها بما فيها من أشدِّ ما يكون من حرارةٍ، نارُ جهنم أشدُّ منها بتسعةٍ وستين جزءًا.

بحيث إنَّه لو جُمِعَ حَطَبُ الدُّنيا وكلُّ وَقودِها، وأُوقِدَ كلُّه حتَّى صار نارًا؛ لَكان الجزءُ الواحدُ مِن أجزاءِ نارِ جَهنَّمَ -الذي هو سَبعونَ جُزءًا- أشَدَّ منه.

قال -ρ-:"أُوقِد على النَّارِ ألفَ سنةٍ حتَّى احمرَّت ، ثمَّ أُوقِد عليها ألفَ سنةٍ حتَّى ابيضَّت ، ثمَّ أُوقِد عليها ألفَ سنةٍ حتَّى اسودَّت ، فهي سوداءُ كاللَّيلِ المظلِمِ. الترغيب والترهيب

النَّارُ هي عَذابُ اللهِ في الآخِرةِ، يُعاقِبُ اللهُ بها العاصينَ، ومَن يَشاءُ مِن عِبادِه، وقدْ وُصِفَتِ النَّارُ في القُرآنِ والسُّنَّةِ بقَصدِ الإعْلامِ بفَظاعَتِها، والتَّحذيرِ مِن فِعلِ ما يُؤَدِّي إلى الوُقوعِ فيها. الدرر السنية

﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ ﴿5﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال البقاعي: وأيضًا لَمَّا كان مَن في الحَرِّ أحوَجَ شَيءٍ إلى ما يُبَرِّدُ باطِنَه، قال

(تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ) أي: يُسقَونَ مِن شَرابِ عَينٍ في غايةِ الحَرارةِ. موسوعة التفسير

آنِيَةٍ: أي: بالِغةِ الحرارةِ قد انتهَى غَلَيانُه.

قال ابن عثيمين: لَمَّا بيَّن مكانَهم -والعياذ بالله- وأنهم في نار جهنم الحامية، بيَّن طعامَهم وشرابَهم فقال: ﴿تُسْقَى﴾ أي: هذه الوجوه ﴿مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ أي: شديدة الحرارة، هذا بالنسبة لشرابهم، ومع هذا لا يأتي هذا الشراب بكلِّ سهولةٍ أو كلَّما عطشوا سُقُوا، لا، إنما يُؤتَون كلَّما اشتدَّ عطشُهم -والعياذ بالله- واستغاثوا كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ [الكهف: ٢٩]، هذا الماء إذا قَرُبَ من وُجوههم شواها وتساقط لحمُها، وإذا دخل في أجوافهم يقول -Y-: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]، إذَنْ لا يستفيدون منه لا ظاهرًا ولا باطنًا؛ لا ظاهرًا بالبرودة يُبَرِّد الوجوه، ولا باطنًا بالرِّيِّ، ولكنهم -والعياذ بالله- يُغاثون بهذا الماء، ولهذا قال: ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾.

كما قال تعالى: هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ * يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ [الرحمن: 43-44].

في قَولِه تعالى: تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ سُؤالٌ: كيف تكونُ هذه العَينُ في نارِ جهنَّمَ، والعادةُ أنَّ الماءَ يُطفئُ النَّارَ؟!

قال ابن عثيمين: الجوابُ: أوَّلًا: أنَّ أمورَ الآخرةِ لا تُقاسُ بأمورِ الدُّنيا، لو أنَّها قِيسَتْ بأُمورِ الدُّنيا ما استطَعْنا أنْ نَتَصَوَّرَ كيف يكونُ، أليستِ الشَّمسُ تدنو يومَ القيامةِ مِن رُؤوسِ النَّاسِ على قَدْرِ مِيلٍ؟ - والميلُ إمَّا مِيلُ الْمُكْحُلةِ، وهو نصفُ الإصبَعِ، أو مِيلُ المسافةِ: كيلو وثُلُثٌ أو نحوُ ذلك-، وحتَّى لو كان

كذلك فإنَّه لو كانتِ الآخرةُ كالدُّنيا لَشَوَتِ النَّاسَ شيًّا، لكنَّ الآخرةَ لا تُقاسُ بالدُّنيا، أيضًا يُحْشَرُ النَّاسُ يومَ القيامةِ في مكانٍ واحدٍ؛ منهم مَن هو في ظُلمةٍ شديدةٍ، ومنهم مَن هو في نُورٍ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ [التحريم: 8] ، يُحشَرونَ في مكانٍ واحدٍ ويعرَقونَ؛ فمِنهم مَن يَصِلُ العَرَقُ إلى كَعْبِه، ومنهم مَن يَصِلُ إلى رُكبَتَيه، ومنهم مَن يَصِلُ إلى حِقْوَيه، ومع ذلك هم في مكانٍ واحدٍ. إذَن أحوالُ الآخرةِ لا يجوزُ أنْ تُقاسَ بأحوالِ الدُّنيا.

ثانيًا: أنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ، ها نحن الآن نَجِدُ أنَّ الشَّجَرَ الأخضرَ تُوقدُ منه النَّارُ، كما قال تعالى: الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ [يس: 80] ، الشَّجرُ الأخضَرُ رَطْبٌ، ومع ذلك إذا ضُرِبَ بعضُه ببعضٍ أو ضُرِبَ بالزَّندِ انقدَحَ وخَرَجَ منه نارٌ حارَّةٌ يابِسةٌ، وهو رَطْبٌ بارِدٌ؛ فاللهُ على كلِّ شيءٍ قَديرٌ، فهم يُسقَونَ مِن عَينٍ آنيةٍ في النَّارِ، ولا يتنافى ذلك مع قُدرةِ اللهِ عزَّ وجَلَّ .

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ ﴿6﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: لَمَّا ذَكَر شَرابَهم؛ ذَكَر طَعامَهم

(لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ) أي: ليس لهم طَعامٌ إلَّا شَجَرٌ يابِسٌ ذو شَوكٍ. موسوعة التفسير

الضريع أي: نبتٍ ذي شَوكٍ هو أخبَثُ الطَّعامِ وأبشَعُه.

الضريع: بعض أهل العلم يقولون: هو طعامٌ خبيث من نبات يقال له: ضريع يعرفه العرب، وهو سمٌ من السموم، يمزق الأمعاء في الدنيا، لكن ضريع الآخرة أشد.

﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾ ﴿7﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال السعدي: وذلك أن المقصود من الطعام أحد أمرين: إما أن يسد جوع صاحبه ويزيل عنه ألمه، وإما أن يسمن بدنه من الهزال، وهذا الطعام ليس فيه شيء من هذين الأمرين، بل هو طعام في غاية المرارة والنتن والخسة نسأل الله العافية.

(لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ) أي: لا يَعودُ هذا الضَّريعُ على آكِلِيه بسِمَنٍ يُصلِحُ أجسادَهم، ولا يَدفَعُ عنهم شيئًا مِن ألَمِ الجُوعِ؛ فليس مِن وَرائِه سِوى الضَّرَرِ المَحْضِ. موسوعة التفسير

قال ابن عثيمين: فلا ينفع الأبدانَ في ظاهرها، فلا ينفعها في باطنها، فهو لا خير فيه، ليس فيه إلا الشوك، والتجرُّع العظيم، والمرارة، والرائحة المنتنة التي لا يستفيدون منها شيئًا.

في قَولِه تعالى: لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ سُؤالٌ: أنَّ هذا يُعارِضُ قولَه تعالى في الآيةِ الأُخرى: وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ [الحاقة: 36][صديد وقيح] .

الجوابُ: فالعذابُ ألوانٌ، والمعَذَّبونَ طَبَقاتٌ؛ فمِنهم مَن لا طعامَ له إلَّا مِن غِسْلينٍ، ومنهم مَن لا طعامَ له إلَّا مِن ضَريعٍ، ومنهم مَن لا طعامَ له إلَّا الزَّقُّومُ، ويدُلُّ لهذا قَولُه تعالى: لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ [الحجر: 44] .

⬅أنَّ المعنى أنَّهم لا طعامَ لهم أصلًا؛ لأنَّ الضَّريعَ لا يَصدُقُ عليه اسمُ الطَّعامِ، ولا تأكُلُه البَهائِمُ، فأحرى الآدَميُّونَ!

✍فأهل النار يتفاوتون في العذاب، كما قال سبحانه وتعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}[غافر:46] ، وكما قال -Y-: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ} [النساء:145] ، وكما قال النبي -ρ- لما سأله العباس وقال: يا رسول الله! أبو طالب كان يحوطك ويرعاك ويمنعك فهل نفعته بشيء، قال: (نعم هو في ضحضاح من نار يغلي منهما دماغه، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار) فدلت هذه النصوص على أن أهل النار يتفاوتون في العذاب.

✡نسأل الله تعالى أن يُعيذنا وإيَّاكم من النار، وأن يرزقنا وإيَّاكم دار القرار، إنَّه على كلِّ شيءٍ قدير.

✍هذه عقوبة الكفار يوم القيامة الذين أمضوا حياتهم الدنيا باللعب واللهو وعدم المسؤولية وعدم تذكر الآخرة يعاقبهم الله -Y- في الدار الآخرة بأن يكونوا في عمل دائم ونَصَب لا ينتهي وذلك لأنهم كفروا بالله -Y-ولم يقوموا بما أمرهم الله عز وجل به من العبادة فإن الله إنما خلقنا لعبادته.(مساعد الطيار)

✍وهكذا الله -Y- جعل هذا القرآن مثانِيَ فيذكر الوعد والوعيد ويعقب هذا بهذا من أجل أن يجمع الإنسان بين الخوف والرجاء، يذكر صفات أهل النار وصفات أهل الجنة

🗀ثم ذكر الله عز وجل القسم الثاني من أقسام الناس في يوم الغاشية فقال:

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (8) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (9) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (10) لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً (11) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (12) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (14) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (16)

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ ﴿8﴾

🖹مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها:🗐قال الرازي: لَمَّا ذَكَر سُبحانَه وَعيدَ الكُفَّارِ؛ أتْبَعَه بشَرحِ أحوالِ المؤمِنينَ

(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ) أي: يَظهَرُ على وُجوهِ المؤمِنينَ يَومَ القيامةِ أثَرُ النِّعمةِ؛ مِنَ البَهجةِ والسُّرورِ والنَّضرةِ، والرَّاحةِ والرَّفاهِيَةِ. موسوعة التفسير

🗐قال ابن عثيمين :قسَّم الله سبحانه وتعالى الناسَ يوم القيامة إلى قِسمين:

القِسم الأول: وجوهٌ عاملةٌ خاشعةٌ ناصبةٌ، وسبق الكلامُ على ذلك.

القِسم الثاني: وجوهٌ ناعمةٌ؛ أي: ناعمةٌ بما أعطاها الله عز وجل من السرور والثواب الجزيل؛ لأنها عَلِمت ذلك وهي في قبورها؛ فإنَّ الإنسان في قبره يُنَعَّم، يُفتَح له بابٌ إلى الجنة فيأتيه من رَوحها ونعيمها، فهي ناعمة.

🗐قال السعدي: وأما أهل الخير، فوجوههم يوم القيامة ﴿نَاعِمَةٌ﴾ أي: قد جرت عليهم نضرة النعيم، فنضرت أبدانهم، واستنارت وجوههم، وسروا غاية السرور.

كما قال تعالى: إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ [المطففين: 22 - 24] .

﴿لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ ﴿9﴾

(لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ) أي: أصحابُ تلك الوُجوهِ راضُونَ عَمَّا عَمِلوه في الدُّنيا مِن أعمالٍ صالحةٍ، حينَ وَجَدوا ثوابَها العَظيمَ في الآخِرةِ. موسوعة التفسير

قال ابن عثيمين: أي: لعملها الذي عَمِلتْه في الدنيا راضية؛ لأنها وصلتْ به إلى هذا النعيم وهذا السرور وهذا الفرح، فهي راضيةٌ لسَعْيها، بخلاف الوجوه الأولى فإنها غاضبةٌ -والعياذ بالله- غيرُ راضيةٍ على ما قدَّمت.

قال السعدي: ﴿لِسَعْيِهَا﴾ الذي قدمته في الدنيا من الأعمال الصالحة، والإحسان إلى عباد الله، ﴿رَاضِيَةٍ﴾ إذ وجدت ثوابه مدخرًا مضاعفًا، فحمدت عقباه، وحصل لها كل ما تتمناه.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ ﴿10﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال الرازي: وأيضًا لما ذَكَر وَصفَ أهلِ الثَّوابِ أوَّلًا؛ وَصَف دارَ الثَّوابِ ثانيًا

(فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ) أي: في جَنَّةٍ مُرتَفِعةٍ، وفي مَوضِعٍ عالٍ. موسوعة التفسير

قال ابن عثيمين: الجنَّة هي دار النعيم التي أعدَّها الله عز وجل لأوليائه يوم القيامة، فيها ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذنٌ سمعتْ، ولا خَطَر على قلب بَشَر؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة ١٧]، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون ١ - ١١]، وقال الله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف ٧١]، فهُم في جنَّةٍ عالية، العلوُّ ضدُّ السُّفول، فهي فوق السماوات السبع، ومن المعلوم أنَّه في يوم القيامة تزول السماوات السبع والأرضون ولا يبقى إلا الجنة والنار، فهي عالية، وأعلاها ووسطها الفردوس الذي فوقه عرش الربِّ جل وعلا.

قال السعدي: وذلك أنها ﴿فِي جَنَّةٍ﴾ جامعة لأنواع النعيم كلها، ﴿عَالِيَةٍ﴾ في محلها ومنازلها، فمحلها في أعلى عليين، ومنازلها مساكن عالية، لها غرف ومن فوق الغرف غرف مبنية يشرفون منها على ما أعد الله لهم من الكرامة.

﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ ﴿11﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال البقاعي: لَمَّا كان ما كان مِن هذا لا يَصفُو وفيه ما يُكرَهُ مِنَ الكَلامِ، قال مُنَزِّهًا لها عن كُلِّ سُوءٍ

(لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً) أي: لا يَسمَعونَ فيها أيَّ كَلِمةٍ لا فائِدةَ مِن وَرائِها. موسوعة التفسير

قال ابن عثيمين: أي: لا تَسمع في هذه الجنة قولةً لاغيةً أو نفْسًا لاغيةً، بل كلُّ ما فيها جِدٌّ، كلُّ ما فيها سلامٌ، كلُّ ما فيها تسبيح، تحميد، تهليل، تكبير؛ يُلهَمون التسبيحَ كما يُلهَمون النَّفَس؛ أي إنَّه لا

يشقُّ عليهم ولا يتأثَّرون به، فهُم دائمًا في ذِكر الله عز وجل وتسبيحٍ وأُنسٍ وسرورٍ، يأتي بعضهم إلى بعضٍ، يزور بعضهم بعضًا، في حبورٍ لا نظير له، نسأل الله أن يجعلنا وإيَّاكم من أهلها.

قال -ρ-: "إنَّ أهْلَ الجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فيها ويَشْرَبُونَ، ولا يَتْفُلُونَ ولا يَبُولونَ ولا يَتَغَوَّطُونَ ولا يَمْتَخِطُونَ. قالوا: فَما بالُ الطَّعامِ؟ قالَ: جُشاءٌ ورَشْحٌ كَرَشْحِ المِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ والتَّحْمِيدَ، كما تُلْهَمُونَ النَّفَسَ" صحيح مسلم.

قال السعدي: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا﴾ أي: الجنة ﴿لَاغِيَةً﴾ أي: كلمة لغو وباطل، فضلًا عن الكلام المحرم، بل كلامهم كلام حسن [نافع] مشتمل على ذكر الله تعالى، وذكر نعمه المتواترة عليهم، و[على] الآداب المستحسنة بين المتعاشرين، الذي يسر القلوب، ويشرح الصدور.

قال ابن عاشور: تنبيهٌ على أنَّ الجَنَّةَ دارُ جِدٍّ وحَقيقةٍ، فلا كَلامَ فيها إلَّا لفائِدةٍ؛ لأنَّ النُّفوسَ فيها تخلَّصَت مِن النَّقائصِ كُلِّها، فلا يَلَذُّ لها إلَّا الحقائِقُ والسُّمُوُّ العَقليُّ والخُلُقيُّ، ولا يَنطِقونَ إلَّا ما يَزيدُ النُّفوسَ تَزكيةً.

هدايات من أعظم النعيم الذي يدركه المؤمنون في الدار الآخرة أن الله عز وجل لا يُسمعهم أو لا يسمعون في الجنة شيئاً من اللغو، المؤمن في الدنيا ينبغي له أن يبتعد عن اللغو فلا يكون من اللاغين ولا يجلس مجالس اللغو (وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا)[الفرقان: ٧٢] هذا ديدن المؤمن وهذا يبين لنا أن المؤمن في عموم حياته جاد ولا يخرج من لسانه إلا شيء يتقرب به إلى ربه سبحانه وتعالى. مساعد الطيار

وقال الله سُبحانَه وتعالى: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا * إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا [الواقعة: 25-26] .

وقال عزَّ وجَلَّ: لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا [النبأ: 35] .

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ ﴿12﴾

(فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ) أي: في تلك الجَنَّةِ العاليةِ عَينٌ جارِيةٌ بماءٍ أو بغَيرِه مِنَ الأشربةِ، مِن غَيرِ أُخدودٍ. موسوعة التفسير

قال البيضاوي: أي: يَجْري ماؤها ولا يَنقطِعُ، والتَّنكيرُ للتَّعظيمِ.

قال السعدي: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ وهذا اسم جنس أي: فيها العيون الجارية التي يفجرونها ويصرفونها كيف شاءوا، وأنى أرادوا.

قال ابن عثيمين: ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ [الغاشية: ١٢] وهذه العين بيَّن الله عز وجل أنَّها أنهار؛ ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد ١٥].

﴿جَارِيَةٌ﴾ أي: تجري حيث أراد أهلُها؛ لا تحتاج إلى حَفْر ساقيةٍ ولا إقامةِ أُخدود؛ كما قال ابن القيم رحمه الله:

أَنْهَارُهَا فِي غَيْرِ أُخْدُودٍ جَرَتْ *** سُبْحَانَ مُمْسِكِهَا عَنِ الْفَيَضَانِ

عن أبي هريرة –τ–قال: قال رسول الله – ρ–: ((أنهار الجنة تفجر من تحت تلال– أو: من تحت جبال– المسك))؛ واه ابن حبان وصححه الألباني.

كما قال تعالى: إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ [الحجر: 45] .

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ ﴿13﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال البقاعي: لَمَّا لم يَبْقَ بَعدَ الأكلِ والشُّربِ إلَّا الاتِّكاءُ؛ قال مُفْهِمًا أنَّهم مُلوكٌ

(فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ) أي: فيها أَسِرَّةٌ عالِيةٌ مُرتَفِعةٌ، يَجلِسونَ عليها أو يَضطَجِعونَ. موسوعة التفسير

قال السعدي: سُرُرٌ: جمْعُ سَريرٍ، وهي المجالس المرتفعة في ذاتها، وبما عليها من الفرش اللينة الوطيئة.

قال الطبري: مرفوعة ليرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ما خوله ربه من النعيم والملك فيها، ويلحق جميع ذلك بصره.

﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾ ﴿14﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال البقاعي: لَمَّا كان المستريحُ يَحتاجُ إلى تَكرارِ الشُّربِ وما يَشرَبُ فيه، قال

(وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ) أي: فيها أكْوابٌ، مَوضوعةٌ بيْنَ أيديهم، كلَّما أرادوها وجَدوها حاضرةً عندَهم، قد أُعِدَّتْ لهم بأشربَتِها. موسوعة التفسير

قال البِقاعي: (فهو [أي: الكُوبُ] صالِحٌ للمُناوَلةِ والشُّربِ مِن كُلِّ جِهةٍ).

وقال السعدي: (وُضِعَت بيْنَ أيديهم، وأُعِدَّت لهم، وصارت تحتَ طَلَبِهم واختيارِهم).

وقال ابنُ جرير: (مَوضوعةٌ على حافَةِ العَينِ الجارِيةِ، كُلَّما أراد الشُّرْبَ وجَدَها مَلْأَى مِن الشَّرابِ).

قال ابن عاشور: عن عدَمِ انقِطاعِ لَذَّةِ الشَّرابِ طعْمًا ونَشوةً، أي: مَوضوعةٌ بما فيها مِن أشربةٍ.

قال ابن عثيمين: انظُرْ للتَّقابُلِ: فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ عاليةٌ يَجلِسونَ عليها يَتَفَكَّهونَ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ [يس: 56] ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ يعني: ليست مرفوعةً عنهم، بل هي موضوعةٌ لهم، متى شاؤوا شَرِبوا فيها مِن أنهارِ الجَنَّةِ الأربعةِ.

قال السعدي: أي: أوان ممتلئة من أنواع الأشربة اللذيذة، قد وضعت بين أيديهم، وأعدت لهم، وصارت تحت طلبهم واختيارهم، يطوف بها عليهم الولدان المخلدون.

كما قال تعالى: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [الزخرف: 70–71] .

وقال سُبحانَه وتعالى: يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ [الواقعة: 17–18] .

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ ﴿15﴾

(وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ) أي: وفيها وَسائِدُ مُرَتَّبةٌ ومَصفوفةٌ بَعضُها بجانبِ بَعضٍ، يَستَنِدونَ إليها. موسوعة التفسير

قال السعدي: أي: وسائد من الحرير والاستبرق وغيرهما مما لا يعلمه إلا الله، قد صفت للجلوس والاتكاء عليها، وقد أريحوا عن أن يضعوها، و يصفوها بأنفسهم.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ ﴿16﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبْلَها: قال البقاعي: لَمَّا كان مَن هو بهذه المنزلةِ يَحتاجُ إلى المسانِدِ والفُرُشِ الزَّائِدةِ، قال تعالى

(وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ) أي: وفيها فُرُشٌ فاخِرةٌ جَميلةٌ كَثيرةٌ مُنتَشِرةٌ. موسوعة التفسير

المبثوثةُ: المنتشِرةُ على الأرضِ بكَثرةٍ، وذلك يُفيدُ كِنايةً عن الكَثرةِ.

والزرابي [هي:] البسط الحسان، مبثوثة أي: مملوءة بها مجالسهم من كل جانب.

قال ابن عثيمين: ولا تظنُّوا أنَّ هذه النمارق وهذه الأكواب وهذه السُّرُر وهذه الزرابيُّ، لا تظنُّوا أنها تُشبه ما في الدنيا؛ لأنها لو كانت تُشبه ما في الدنيا لَكُنَّا نعلم نعيم الآخرة ونعلم حقيقته، لكنَّها لا تُشبهه؛ لقول الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة ١٧]، إنما الأسماء واحدة والحقائق مختلفة، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: «ليس في الآخرة مما في الدنيا إلا الأسماء فقط».